

البرق الشامي

فانه لم حضر العسكر وحصره وصابره وأبصره وقصد منهج الرأي ومنهل الري من صوب الصواب فارتأى وارتوى ورأى من النهي أنه إن حاوله وطاوله انفض من الزاد وأقوى من القوى وكان السلطان ركب بكرة الأحد إلى صفد فصادف ضياء ضياعها بالأوهار زاهرا ورواء روابيها بالبهاء والبهجة طاهرا وكرائم كرومها معلقة الأقراط وغروس عروشها مخلدة الأشراف والأرواح للأحوار والأشجار مشجرة والشمال لتصفيقها بصفقة الشمول متاجرة والعناقيد روم وزنج بالعناقيد قيدت إلى السجون لتبريز ابريز الزرجون والأفنان المورقة المترنحة من فرقها بالفنون وقد ربي رباها وهذا هداها كافر لكافر وسوى أنحائها ونحى سوءها فاجر لفاجر فأباح العسكر حماها وأتى حتى إذا رامها وبالأذى رماها فما ترك نابتة إلا حصدها ولا نابتة الا قصدها ولا نابتة الا قصدها ولا رائضة الا رصدها وعاد طهرا على العدو طاهرا وللحصن حاصرا حاملا من تلك الغوارس لحشو المتارس عاملا لنصب المنجنيق عمل المقاسي ثم رأى أن يقدم على رفعه ونصبه جرا للجند إلى القتال وزحفا إلى أولئك الرجال المعدودة المحصورة بأولي العدة المصحرين من الرجال فما زحف حتى رجع وما جرى حتى جرف وما دلف حتى أوجف .

والفرنج إذا ذاك حشو الحوش كالذئاب في الجرأة بل في الوثوب كالوحوش وتسلق في الحائط من تسلى عن حوطة نفسه النفيسة وسخا بالروح العزيزة لدفع ما لزم الإسلام بسبب الحصن من الخسيسة فما انقضت ساعة حتى انقضت عليهم جماعة وهم كالشواهين المنقضة على البغاث وكائدي مخلفي الكرام إذا تصرف في التراث فكل منقصد باب الحصن من الفرنج فر ونجا وثبت أقدام المقدمين وجاءهم الوجى وشجاهم الشجى وملكت الباشورة عنوة وكملت تلك المسورة خطوة فأطلقت النيران في أبواب الحصن وأخذت النقب في كل جانب في الركن وأحاطت الجماعة بالسور المحكم إحاطة السوار بالمعصم والخلخال بالمخدم بل أحدثت به إحداق الأجفان بالحدقة والسياج بالحديقة واشترأت إلى الشرب من ورد وريد أهل الباطل طماء الطبى بأيدي الأيد من أهل الحق والحقيقة وإذا الخندق عميق والمزلق وثيق والمقصد سحيق والورد ما إلى طريقه طريق وأهل الوفاء تحت جفاء الجفاتي والنقاب النقاب لاجتهاده في جهاده منكب على استخراج الحجر العاتي وهو لا يؤاتي فكم جرح وأخرج حتى خرج الحجر وكم ضج وأحوج حتى ضج منه الشجر والرماة الكماة على الخندق بثبات أقدامهم يمنعون الفرنج من إخراج رؤوسهم ويجبون بالمشرف إليهم من السهام خراج نفوسهم